

Nady Al-Adab: Jurnal Bahasa Arab

Volume 21 Issue 2 July 2024

ISSN Print: 1693-8135 | ISSN Online: 2686-4231

Penerbit: Departemen Sastra Asia Barat, Fakultas Ilmu Budaya, Universitas Hasanuddin

Nationally Accredited Journal, Decree No. 200/M/KPT/2020

This Work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

جواب الاستفهام بالاستفهام في البيان النبوي في الخطاب التسوي (دراسة تحليلية)

Umar Muhammad Lawal Al-Imam¹

¹ University of Abuja, Nigeria. e-mail: umarmuhammedlawal@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تناول أسرار بلاغية في رحاب تقابل جواب الاستفهام بالاستفهام أو تكرار صورته في مختلف أغراضها الحقيقية والمجازية، وما اختصت بها ظواهرها من الجمالية الإبداعية، لتوضيح ما في حقولها من النكت البيانية في الرسالة المحمدية، حيث اتخذت أوفر نصيب ضمن ما استعملها النبي المختار من الأساليب في المحتوى الذهني الرباني. يكمن في طيات هذه الظاهرة ما يدعو إلى تأملها، والغوص في عمقها لإدراك مراميها، بكونها غنيّة الملحوظات، يكتسبها البليغ في كلامه فيعني بها، ومن هنا حظي هذا الأسلوب بإشادة العلماء به، وإشارتهم إليه، ولاغرو إذ هو فن عظيم من فنون القول، يسري في أنماط الكلام سريان النسيم في الرياض العطرة، ويزداد تألقاً وجمالاً في الأساليب الأدبية الرفيعة، يكشف عن خبئات المعاني، ويعرضها عرضاً رائعاً يحمل النفوس على الانتشاء، والمشاعر على التوقد، والقلوب على اليقظة، والعواطف على الاستمتاع، والأذهان على الإقناع، والعقول على الإبداع، ويريك المعاني في معارض مجلوة، وألوان زاهية، ومذاقات متفاوتة، فتصبح النفوس بما فيها من ملكات الإدراك لوحة شديدة الإحساس، تنعكس عليها تلك المعاني فتقرأها العقول والقلوب قبل البصائر والأبصار. ولهذا احتل درس الاستفهام عند البلاغيين والنقاد منزلة الشراكة تتجسد أهمية المقالة وتعتكف في دراسة هذا الأسلوب على ضوء مختارات الأحاديث النبوية في ظلال مخاطبة الجنسية الأنثوية على مدى النماذج التالية.

الكلمات المفتاحية: جواب الاستفهام بالاستفهام؛ خصائص البيان النبوي؛ روائع الفكر في الخطاب النسوي.

Abstract

This research aims to address rhetorical secrets in the context of the following the answer to the question by interrogation or repetition of its image in its various purposes, in order to clarify the rhetorical witticism as contained in the message of Prophet Muhammad. The rhetorical witticism took the greatest share among the methods used by the chosen Prophet in the divine mental content which contained folds of phenomena that called for contemplation into its depth in order to realize its aims and goals which can be detected and acquired by the eloquent. Hence, this method was endorsed and recommended by scholars, because it is a great art of expression cherished by all a sundry which reveals hidden meanings, and presents them in a wonderful way that suits the souls and emotions. No doubt, this leads the heart and feeling to maximum enjoyment, and the mind to artistry creativity which shows

you the meanings in hidden exhibitions, bright colors, and varying testes, so that the souls, including the faculties of perception, become a highly sensitive to the extent that meanings are reflected via them, and consequently, understood by the minds and hearts before insights and visions. That is why the question of the rhetoricians and critics was held in high esteem. The rhetoricians monitor the images of rhetorical questions and define their goals, while on the other hand the critics reveal its impact on the genres of literature and the arts of fine expression. In lieu of the above, the importance of the article is embodied in studying this method in the consideration of the selections of the hadiths of the Prophet in the shadows of addressing the female gender over the following models.

Keywords: *The Phenomenon of Interrogative Answering; Characteristics of the Prophetic Statement; Masterpieces of Thought in Feminist Discourse.*

1. مقدمة

يستقل البيان النبوي في توجيه الجنسين نحو سعادة الدارين معلّمًا، ويحلّل الأمور على مدى العصور بليغًا ومبلىغًا، ولا يزال في إفادة الدارسين طريق معرفة التتبع في حركة الواقع الاجتماعي بتبادل القمرين منتجًا ومنجزًا، يغذي العقول اليقظة مربيًا، وينقذ القلوب من الظلمات كل وقت وحين منورًا، يختص بتفصيل ما في الكتاب المكنون مجملًا، ويمتاز لإرشاد الثقلين إلى سواء السبيل مفصلاً. وما أروع ما يبثه ويثبته الحديث النبوي من وحيٍّ، ووعيٍّ، وإدراكٍ، ويقظةٍ، ومهارةٍ، وتوعيةٍ، وتوجيهٍ، وموعظةٍ، وحكمةٍ، حيث يمتلك درر الحقائق وغرر الأساليب دقة ومرونة. فإنَّ أهمية تناول هذا البحث تحتفظ ما للملكة من نباهة ولبّاقة ورونقة، لما تكمن في زاويته من ثمرات قوة الرأي، وبلاغة الوحي في روعة البيان والتبيين، ودسمة الفصاحة والبراعة في توظيف جواب الاستفهام بالاستفهام، حيثما يخاطب الرسول الأمين المأمون-عليه الصلاة والسلام- تلك الجنسية الخطيرة، بمراجعة فروقها الفردية خلقًا وحلُفًا، لإعداد المستوى العلمي والذهني والفكري بتوجيهها عبر إصلاح المجتمع الإنساني الإسلامي على حد سواء جمعًا وفردًا..

2. مناقشة و نتائج البحث

2.1. في موكب مفهوم الخطاب النسوي

جاء مصطلح الخطاب النسوي وأفاد معانٍ متعدّدة في جوانب متنوّعة، منها ما كانت في المواطن الثقافية، والسياسية، والاجتماعية، والدينية، والعلمية لتلك الجنسية الأنثوية. وعلى هذا المنوال يعالج الباحث ويحلّل مفهوم الخطاب النسوي في القديم والحديث، لرفع الإشكاليات ونبد ركود المفاهيم عبر رقود المنحرف، ثم توضيح المقصود به في هذه المقالة البيانية، ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

أ. مفهوم الخطاب النسوي في القديم

وبالرجوع إلى نشأة الحراك النسوي العربي، يوجد أنه في الأغلب مرتبطة بقضايا سياسية شغلت فكرة تكونه وتشكيل ملامحه، وهذا ليس غريبًا في طبيعة الحركة النسوية كحركة اجتماعية سياسية في الأساس، غير أنّ الحراك النسوي أخذ ينحو إلى

كونه سياسياً أكثر من كونه اجتماعياً، أو أن أداءه السياسي كان وسيلة في إثبات جدارة التي يطمح إليها، وليس أداءه الاجتماعي. لقد نشأت الجمعيات الفكرية والحركات النسوية في ظل مرحلة التحرر من الاستعمار، لذا فلا غرابة في أن يكون أدائها سياسياً بالدرجة الأولى، إذ هذا هو المناخ العام في ذلك الوقت، المناخ الذي جعل دائما الأولوية للسياسي على الاجتماعي، وهو لم تخرج عنه الخطابات النسوية العربية آنذاك. ونموذجاً لهذه النشأة السياسية، يمكن اقتطاف لحظات من حياة أشهر النسويات العربيات هدى شعراوي، والتي عرفت منذ خلوعها للحجاب في عام 1823م، لكن الحقيقة أن نشاطها كان سابقاً على هذه الحادثة، ففي عام 1914م أسست الجمعية الفكرية للمرأة المصرية، وفي ثورة 1919م تقدّمت صفوف النساء في المظاهرات التي تطالب بالاستقلال، وفي عام 1924م قادت وفقة نسائية أثناء إنعقاد جلسة افتتاح البرلمان. وقدمت عريضة تحوي بعض المطالب التي تجاهلها حزب الوفد، مما دفعها للاستقالة من لجنته النسائية..

ب. مفهوم الخطاب النسوي المعاصر

يبدو أن الخطاب النسوي مصطلح ملتبس لاستحقاقات عادلة، وعلى رغم من قدم الحضور العربي في الحركة النسائية العالمية ونظرياتها الفكرية والاجتماعية والسياسية الذي يؤرخ له بمشاركة المصرية هدى شعراوي في المؤتمر النسائي الدولي الأول بمدينة روما الذي عقد في عام 1923م. فإنّ المجتمعات العربية ظلّت بعيدة من تغلغل الفكر النسوي فيها، وما زال بعضها يجاهد من أجل أن تحصل المرأة على أبسط حقوقها. فجاءت مجهودات النظرية النسوية على مختلف المستويات السياسية، والاجتماعية والاقتصادية والأدبية والفنية لتتناهض التمييز بين الرجل والمرأة على أساس الجنس أو النوع. وتدفع المرأة لنيل كامل حقوقها في مختلف المجتمعات، وعدم التقليل من شأن قضاياها وأطروحتها الفكرية، وتعضت جمعيات ومؤسسات لدعم الفكر النسوي وحقوق المرأة، ونشأت حركات محلية متوافقة مع أفكار النظرية النسوية، كما نشأت أفكار توفيقية بين ما طرحته هذه النظرية برؤاها الإنسانية العامة وما طرحته الأديان السماوية. ووافق كل ذلك تأمل نظريّ ومفاهيميّ في "النسوية" كمصطلح يبدو ملتبساً تارةً وغامضاً تارةً أخرى. فهو في رأي عدد من الباحثين منتج غربي، لم يتغلغل بعد في نسيج الاهتمامات العربية، ومن ثم يوجد تخوف منه وشكوك حياله، في حين يؤكد عدد آخر من الباحثين والباحثات أنّ "النسوية" فلسفة تغيير في الرؤية للعالم وللذات، أي أنّ هناك ثقافياً ما هو أبعد من المساواة بوصفها لبّ الأطروحة النسوية (Faisol, I.H:2011)

وفي هذا الملف الذي يشارك فيه عدد من الكتاب والكاتبات تسعى "الفيصل" إلى التعرف على ملامح الخطاب النسوي العربي، وما الأفق الذي يتغياها، وما التحديات التي تواجه رموزه والمشتغلين فيه؟ إضافة إلى محاولة معرفة الأسباب التي تحول دون تحقق مبادئ النظرية النسوية في كثير من المجتمعات العربية، كما تقرأ شهادات ومواد تتأمل تجلي النسوي في الرواية وفي السينما وفي الدرس النقدي، والنص الفكري، وكذلك مواجهة الأسئلة التي تنار حول المصطلح نفسه، ومساءلة للوحي النسوي ونشاطاته. لقد نتج عن ارتباط النشاط النسوي بالحراك السياسي أثرين شكلاً مستقبلياً للخطاب النسوي العربي:

- التبعية شبه الكاملة للخطاب السياسي، حيث أنّ الحركات النسوية كانت ركوداً مع انتهاء حقبة التحرر والاستقلال، وتشكل الدولة القطرية العربية، وكأن وجودها كان مرتبطاً بوجود القضية الوطنية التحررية، وألها كانت الواجهة لقبول الخطاب النسوي على المستوى المجتمعي.

- عدم فاعلية النجاحات التي حققتها الحركات النسوية على المستوى الدستوري، فإذا كان الحراك النسوي قد حقق بعض الإنجازات فيما يتعلق بقانون الأحوال الشخصية مثل الزواج، وتعليم المرأة، أو القانون السياسي، مثل المشاركة السياسية للمرأة، وحقها في الانتخاب والترشيح، إلا أن هذا النجاح لم يثبت حضوره على المستوى الاجتماعي الفعلي الذين لم يتغير القانون واقعه كثيراً في أغلب الأحيان. إذ ما زالت الزوجات المبكرة تتم، وما زالت المرأة في كثير من النواحي تتبع صورتها النمطية قانعة بها، رغم أن القانون يمنحها ما هو أكثر من ذلك. والحقيقة أن سلطة الاجتماعي تفوق سلطة الشريعي في كثير من الأحيان، وهو ما يشير العديد من الباحثين إلى أن الحركات النسوية ربما لم تفهم بشكل جيد حتى الآن. (Ar'Rayi, S.I:2017).

ت. المقصود بالخطاب النسوي في ظلال هذا المقال

يهدف البحث بمصطلح الخطاب النسوي في هذه الدراسة بما تنعكس تماماً عن شطحيات فكرية ممقوتة، وإنما الغاية المقصودة في هذه الجولة البحثية؛ عبارة عن مواطن البيان النبوي في خطاب هذه الجنسية اللطيفة في المدرسة المحمدية، وما دام أن الأمر في الحديث النبوي مختلف، وهذا بدهي إذ لا شك أن تختلف حكمة الخالق في المرأة عن نظرة المخلوق إليها. وما الحديث النبوي إلا تفسير حكمة الخالق، فالرسالة المحمدية جاءت لتحقيق الأوامر الإلهية، جاءت لتصل الأرض بالسماء، فتدعو إلى الهداية الإنسانية عامة، ولتنشر النور، ولتزيل الظلمات، وتبدها من مسيرة الإنسان، وهذا يخلص الحديث النبوي بياناً وتبياناً، حجةً وبرهاناً، إعجازاً وإيجازاً، من طابع غرزي قائم في الأدب الجاف. فالبيان النبوي ينظر في المرأة شكلاً ومضموناً، لكي يعيد لها مكانتها السامية، وينظر إليها بتجرد عن طابع الانفعال الشخصي، لأن الرسول- صلى الله عليه وسلم- لا يريد تحقيق هدف شخصي، كما أنه يقصد عموم النساء لا امرأة واحدة يتوقع الأديب عندها. ولقد كتبت مدام (هيركور) الشهيرة بالمدافعة عن حقوق النساء إلى الفيلسوف الاشتراكي المشهور ب(برودون) تسأله رأيه في مسألة النساء، أجابها كما يقول في كتابه (ابتكار النظام) بأن هذه الجهود المبذولة من النساء لا تدل إلا على علة أصابت جنسهن، وهي تبرهن على استعدادهن لتقدير قوة أنفسهن وسياسة أمورهن بذاتهن. (Assuba'iy, A.M:2010). وبعد أن برهن على ذلك بالأدلة العلمية قال: "إن حالة المرأة في الهيئة الاجتماعية إذا جرت على النسق الذي تريدينه كما هو حالة الرجل فيكون أمرها انتهى فإنها تصير مستعبدة مملوكة.

2.2. دراسة جواب الاستفهام بالاستفهام في البيان النبوي عبر الخطاب النسوي

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلاً، قالت:

أَغْرِزْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَا لَكَ؟ يَا عَائِشَةُ، أَغْرِزْتُ؟ قُلْتُ: وَمَا لِي لَا يُعَاوِرُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ؟ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ مَعِيَ شَيْطَانُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَمَعِ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنَّ رِيَّ أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ" (Muslim, A.M:1989).

تصدر صور الاستفهام المكررة بألوان مختلفة، وأدوات متنوعة في المحاور الزوجية بين حضرة الرسول-صلى الله عليه وسلم- وأمم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- مما يتم به ثراء الملكة البيانية التي تعني أبعاد الكلام عندما تحمل وجوهاً مختلفة، وذلك لأن الخروج من غرض إلى آخر يبيث في النفوس حركة ونشاطاً أكثر مما يظل على وجه واحد، وذلك مما نشهد مرمها العام في البيان النبوي، حيث تحمل أدوات الاستفهام معان تراها أحياناً تظهر واضحة في حدود الجملة التي وقعت فيها تلك الأدوات، وفي الأول: "ما لك؟" يفيد الإنكار والتعجب، ترى المعنى فيه لا يشخص لك بأحواله وتماهه إلا إذا راجعت سياقاً طويلاً ترى فيه خيوط المعنى تتولد قبل الاستفهام، ثم تأتي الأداة وكأنها تلخيص وتركيز على شأن المخاطبة المؤدى إلى التوبيخ. والثاني: "أعرت يا عائشة؟"، في مغزى التعجب والاستغراب والتقرير بما تشيعه همزة الاستفهام في حالة شعور أم المؤمنين-رضي الله عنها- وتصرفاتها التي تحبس في صدر الرسول-عليه الصلاة والسلام- فيتأسف عليها، ولا نجد وسيلة للإبارة عن تعبير الغاية وإيقاظ عقلية المخاطبة إلا هذه الأداة في توضيح حسنها وشعورها. والثالث: "أقد جاءك شيطانك؟"، يكرر الرسول-صلى الله عليه وسلم- همزة الاستفهام مرة ثانية في فحوى الإنكار التوبيخي، وعندما قصد الرسول-عليه الصلاة والسلام- تركيز الفكرة وترسيخها في السياقات الحية، بما هو أرحب وأدق من أن نحدده تحديداً تاماً، ضمّ قد مع همزة الاستفهام: "أقد"، لتحقيق طبيعة خفية هاربة لا تستطيع وصفها بإحاطة وسيطرة، ولم يكتفى الرسول بهذه وتلك في إبارة كاملة عما أراد بيانها، فصقل العبارة وكنى بأقوى صفة مرعبة قائلاً: "جاءك شيطانك؟"، كناية الصفة تعني غيرة أم المؤمنين وسوء حالها بمقدار ثورة النفس التي ينزغها الشيطان في قلبها عند حضرة الرسول-صلى الله عليه وسلم-.

أحاطت أدوات الاستفهام، فناسبت السياقات الرائعة في ظلال البيان النبوي المعجز، وذلك أثناء محاورته مع أم المؤمنين صحابية الحديث-رضي الله عنها- قلماً تتأثر أقوى التأثير في الصور الذهنية، والخطرات النفسية التي ترتبط بقلها حتى قالت: "يا رسول الله، أو معي شيطان؟"، مستفهمة فيما تنطوي على شعورها بالحزن، وكينونة الأسف، لتحقيق المراد وتقرير المقصود في إسناد الشيطان إلى شخصيتها، إذ لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: "أقد جاءك الشيطان؟"، وإنما قال: "أقد جاءك شيطانك؟"، وهذا التعبير الثاني أبلغ من الأول من نكت النص البلاغية، ولما أجابها صلى الله عليه وسلم بقوله: "نعم"، ما اقتنعت عائشة رضي الله عنها، ولم تكن في راحة البال، فاستفسرت واستفهمت للمرة الثانية قائلة: "ومع كل إنسان؟"، وصدقها الرسول-عليه الصلاة والسلام- أيضاً بلفظة: "نعم"، ولذا قالت: "أمعك يا رسول الله؟"، وما زالت أم المؤمنين مترددة في الدال، ومستفسرة عن المدلول، حتى كشف لها رسول البيان والتبيين المقصود لكي تطمئن قلبها، وهذا ما انبعثت إليها بلاغة ذلك الاستفهام في جمل قصيرة وأسلوب وجيز "أجاءك شيطانك؟"، لولا هذا الأسلوب فما يكاد الحوار ينتهي على التوكيد والمبالغة تومئ إلى مدى سوء الغيرة المتأثرة في انفعال المخاطبة، فأجابها الرسول مرة ثالثة إعجاباً وإيجازاً: "نعم".

ومن ثم أتم الرسول-عليه الصلاة والسلام- التوضيح في ظلال حوار مع محبوبته ليطمئن قلبها بالإيمان، وأضاف وأفاد في آخر مطاف الحوار بينهما قائلاً: "ولكنّ ربي أعاني عليه فأسلم"، قد ختمت هذه التراكمات بمغزاه في القوة والفاعلية، ما يلفت الوجدان إلى التفكير والغوص في الموقف والبحث والرؤى تثار في قلب المخاطبة وخاطرها حول هذه الحقيقة المزعجة. هلا ترى كيف صور البيان النبوي تصويراً رائعاً لتخفيف واطمئنان قلب المخاطبة بالعطف واللفظ والشفقة قائلاً: "ولكنّ ربي أعاني عليه

فأسلم"، تضمنت العبارة بالحلاوة البيانية، والطلاوة التعبيرية في تخفيف الألم الكامن في قلب المخاطبة في رحاب الفقرة الأخيرة، بكمال الإنقطاع في نسيج البيان النبوي المعجز، إذ ربطه بأسلوب فسيح عامر من نظم خطابه مع زوجته، فكان شرحًا وتأييدًا كافيًا وافيًا شافيًا لألم شعور المخاطبة. ولولا عبقرية الرسول المصطفى-عليه أفضل الصلاة والسلام-الفظانة في اختيار سحر البيان والتبيين في أبلغ أسلوب التأديب عند الحوار، لكانت أساليب أخرى في موكب هذا الكلام بأبشع الطرق، بلا إمتناع في أدنى صور الخطاب تحذيرًا للمخاطبة ولا تنذيرًا.

أ. وما جاء على شاكلة جواب الاستفهام بالاستفهام ما روي:

عن أم سلمة-رضي الله عنها- قالت:

"كنت عند رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه، وذلك بعد أن أمر بالحجاب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "احتجبا منه"، فقلنا: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفعمياوان أنتما؟" "ألستما تبصرانه"(At-tirmidhiy, A.M.I:1991).

اتضح ظواهر الاستفهام في ظلال الإعجاز البياني النبوي في صدر الأمر بتعبيره-صلى الله عليه وسلم-: "احتجبا"، وفي هذه الجولة تسلطت همزة استفهاما على ليس تعجبًا، لأنّ الوقعة تشكل تقريرًا وتأكيدًا بجواب أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن: "أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟". فتحمل كثرة حقول الاستفهام كنوزًا بيانية عالية، لوحدة الوجه في عاقبة الأمر بجواب الرسول-عليه الصلاة والسلام-لسؤالهما بقوله: "أفعمياوان أنتما؟" وفي هذه الحالة نستطيع استخراج دلالة الفاء الواقعة بعد الهمزة من تحليلها لبعض الأنماط، فليس هناك نمط لا يتغير، فيمكننا به معرفة دلالة (الواو والفاء)، حيث أن للسبب دورًا كبيرًا في دلالتها. وغالبًا ما تكون الواو والفاء مرتبطتين بكلام سابق أو لاحق، تتعلق به دلالة جملة الاستفهام، وقد يكون الكلام مقدرًا أو ظاهرًا كما كان واضحًا في هذا الإعجاز البياني. وإنما جاز وقوع الاستفهام جوابًا، لأنّ المقصود به الإخبار بالنفي، والمعنى لا يبقى.

يقول ابن فارس: "وتكون الواو عطفًا بالبناء على كلام يتوهم" (Ahmad Bun Faris As-sohibiy :1998). وكذلك تدخل الهمزة على فاء العطف للإنكار في هذا الخطاب النسوي، كقوله تعالى: (ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم). فقوله: "أفأنت تسمع الصم" عطف على ومنهم من يستمعون "أي بعضهم يستمع إليك غير سامع في الحقيقة: أفأنت تسمع هؤلاء الصم، وكذلك قوله تعالى: (ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي)، أي: ينظر إليك غير مبصر في الحقيقة. وتكون للتوبيخ أو التقرير إذا دخلت على النفي. وقد تدخل أيضا على فاء السببية كقوله تعالى: (من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون)، أي إذا كان هكذا فلما لا تسمعون. ومن نظيره أيضا قوله تعالى: (من إله غير الله يأتيكم بالليل تسكنون فيه أفلا تبصرون). فالفاء للسببية والهمزة للتوبيخ أو التقرير (Al-Jamiy, N.J:1999). فالفاء غالبا ما تتضمن معنى السبب سلبيًا وإيجابيًا، والواو تتضمن معنى المعية سلبيًا وإيجابيًا. ومن ذلك قول سعدى بنت الشمردل الجهنية قائلة:

ولقد علمت لو أن علما نافع** أن كل حيّ ذاهب فمودع

أفليس فيمن قد مضى لى عبرة * هلكوا وقد أيقنت أن لن يرجعوا (Al-Asmaiy, A.A:1989)

فاستبعاد الشاعر أن يكون العلم نافعا جعل دلالة الفاء تعقيباً مع السبب، والمعنى لقد علمت أن كل حي ذاهب فمودع، ولكن العلم ليس نافعا. أجاهل أنا فليس لي فيمن مضى عبرة، وهم قد هلكوا وأيقنت أن لن يرجعوا. فكمال العلم لم يتحقق، ولهذا كان الاستفهام الإنكاري، لأن مقتضى العلم يتحقق نفعه، والشاعرة استبعدت نفع هذا العلم.

وفي الأداء المتكامل أتبعه الرسول-صلى الله عليه وسلم-بظاهرة الاستفهام أخرى "ألستما تبصرانه؟"، وأسلوب الاستفهام أريد به النفي وفرق بين الدلالة على النفس بأدواته الموضوعية له، مثل: لا وما ولم ولن وليس، وبين الدلالة عليه بالاستفهام، لأن في الاستفهام تحريكاً للفكرة، وتنبهاً للعقل، وحثاً على النظر والتأمل، وتقريباً للمعنى وتأكيدها له. فتكمن بلاغة الأمر في صورة الاستفهام التقريبي الداخل على النفي في مثل قوله "ألستم خير من ركب المطايا؟"، تأكيداً للمقصود فيه تقرير المخاطبة بما تعلمها من مضمون الحكم، وكثير من البلاغيين يعده من باب الإنكار الذي يبطل النفي فيعود بالأسلوب إلى الإثبات. (Abu Musa, M.M 2010) وبمجيء الاستفهام في هذا البيان النبوي يكون أوقع في النفس لما يتضمنه من الأثر البليغ في نفوسهما، وما تقتضيه الدقة في التعبير، وفي إثارة بعض أدواته على بعض، إذ يلقي هذا الاستفهام فيظل متردداً في حنايا النفس وزواياها، فلا تجد بداً من التجاوب معه والامتثال له. ولذا أجابهما الرسول-عليه الصلاة والسلام- عن استفهامهما باستفهام آخر، وفي هذا الأسلوب دلالة الإعجاز النبوي على قوة بلاغة هذا الأسلوب، وعمق أثره في نفوسهما، وشدة تأثيره فيهما، وسرعة نفوذه إلى أعماقهما. قد تتوافر هذه الأساليب فيما بينها لإظهار معنى الأمر وتحقيقه. ويحمل الاستفهام بناء الحجّة وتسجيل الغلبة على المخاطبة، فالكلمة حاسمة فاصلة، مؤجزة ومعجزة، ولذلك لم تستطع كلتها أن تراجع النبي بعدها.

وتأكيد الأمر بأسلوب الاستفهام هنا في مخاطبة العقل والذهن ينتج قوة الانتباه والامتثال، لا لمجرد الصورة الشكلية، فقد أثر الرسول الاستفهام الإنكاري التوبيخي لإثبات الإيجابي، وهو ما لم يسبقه النفي: "أفعمياوان أنتما؟"، فالهزمة للإنكار، والفاء عاطفة على مقدر ينسحب عليه الكلام، أنتما عمياوان بتأمل الغاية والهدف، أم تنظران ولا تبصران الغرض المنشود في الأمر. ومن ثم يقابله بإنكار المنفي إذ تسلط النفي على النفي في قوله: "ألستما تبصرانه؟"، فأفاد الإثبات وحسن التوكيد الأولى بالثانية. نزل سابقهما نفيًا على الكناية "أفعمياوان أنتما؟"، كما كان الأخير نفيًا صريحًا "ألستما تبصرانه؟"، ليتقبل الوجهان على روعة التحقيق وإحداث وحدة بينهما، فلا يستقر أحدهما إلا بمقابلة السنو والحياة، سلسلة من التناقضات. وكان من المركز في الطباع والراسخ في غرائز العقول، أنه متى أريد الدلالة على معنى آخر فأشير به إليه، وجعل دليلاً عليه، كان للكلام بذلك حسن ومزية لا يكونان إذا لم يُصنع ذلك، وذكر بلفظه صريحًا. (Attebreeziy, A.A:2013) وإذا كان إنكاراً لم يكن بمعنى النفي لأنه يوجب نفي النفي، وليس هذا مما يستفهم معه المعنى، لأن مبنى الكلام ليس على الإثبات، والأولى أن يقال في هذا البيان النبوي المعجز أن الإنكار هنا ليس لإنكار الفعل وإنما لإنكار الانبغاء والتردد فيما أمرها بما من الحجاب، وإن كان فيه مع ذلك معنى الحيرة والتعجب واللوم والعتاب والتوبيخ. والإنكار هنا إنكار للنفي وإثبات للكلام. وإن أكثر الصور التي تدخل فيها الهزمة على حرف النفي يفيد الإثبات، ومنها ما لا يفيد ذلك. وألف الاستفهام إذا اتصل بحرف النفي تقرر به فيما كان واجباً واقعاً، وإذا

انفرد عن حرف النفي تقرر به فيما كان منفيًا مدفوعًا، يقول القائل مقررًا: "أفعلت هذا؟" إذا لم يكن فعله فأنكره، و"ألم أفعل كذا؟" إذا كان قد أتاه واكتسبه". (Husnay, A.Y:2014)

وكما أنّ مجيء فعل المضارع المجزوم في قوله "تبصرانيه" يؤدي معنى الاستمرار والتجدد على الكنية، لأنّ الصراحة تذهب رونقها وجمالها في هذا الخطاب النسوي المعجز الموجز تنبيهاً وتوبيخاً. فإذا استعمل ألفاظ أخرى بدلاً من لفظ "تبصرانيه"، مثل (تنظرانيه) أو (ترانيه)، قلّمّا تؤدّي حقّ قدره في هذا الإعجاز البياني الرائع. وأما لفظ "تبصرانيه" يناسب هذا المقام لإفادة قوّة التأثير في جميع ما يؤديه، ولا تصلح في مكانها كلمة "تري" المقتصرة على ظاهرة من الأداء، وكما لا تقوم بدورها كلمة "تنظر"، بينما كان الواقع إحاطة شاملة، ومن يرى بالعين ومجرد النظر دون البصر لا يرى رؤية اليقين. وفي هذا الحقل البياني عبر الإعجاز النبوي في مخاطبة زوجته، اتّضح اتضاحاً عظيماً بالرؤية والتجربة تتسع دائرة النص البلاغي النبوي، إذ تتكاثر وجوهها مطردة القياس في كل بنية ووظيفة، وطبقات وأذواق، وإنماط وأجناس، وأصح التراث القديم لا سيما الوحيان الكريمان يمدان قوى هائلة، وينشران حللاً فاخرة، لا يمل منهما النهم كلما نزلت واستقّت، تلقى أمامها حضماً زاخراً زاهياً، طبعه اتساعاً يزداد به جماهير لإقبال عليه النص بياناً مفصلاً، لما يحمله التكرار اللفظي والمعنوي بصورة الاستفهام التوبيخي الوافي للغرض المنشود في ظلال الإعجاز النبوي في هذا الخطاب النسوي.

ب. ومن صور جواب الاستفهام بالاستفهام في ظلال البيان النبوي ما روي:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقالت: يا رسول الله إنّ الله لا يستحي من الحق. فهل على المرأة الغسل إذا احتلمت؟ قال النبي-صلى الله عليه وسلم-إذا رأته الماء فغطت أم سلمة وجهها. وقالت يا رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أو تحتلم المرأة؟ قال: نعم: "تربت يمينك فبم يشبهها ولدها؟" (Muslim, A.M:1989).

إنّ هذا التراكيب وأمثالها ما زالت مستعملة في الخطاب العادي، ففي مقام الإعجاب قد يدعو أحدهم على الآخر بخراب بيته مثلاً، وذلك حين يريد أن يعبر عن دهشته وإعجابه. وقد يفيد المعنى في هذا الحديث النبوي توبيخاً وإنكاراً لذلك الاستفسار والتساؤل الذي أتت به المخاطبة، لكيلا تحسب القضية هيئناً، ردّ عليها الرسول-صلى الله عليه وسلم-ببلاغة الاستفهام في مغزى التذكّر والتنبية على التناسب والتشابه العرقي بين المولود والوالدة: "بم يشبهها ولدها؟". ولأجل رفض التناقض ونبد سوء التفاهم زاد الرسول-عليه الصلاة والسلام-في الإبانة والتوضيح. تأمل الإعجاز البياني بروعة الكناية البيانية النبوية في هذا الموقع، أبرز التعبير في غاية التكملة للفكرة البلاغية، وعمق البيان في مغزى الخطاب النبوي بأحسن الأدب، "إذا رأته الماء"، هذه صيغة لها هيئة تركيبية تحضر في عقلية المخاطبة وتستقر مباشرة المقصود، ولماذا لم يذكر الرسول-عليه الصلاة والسلام-في هذا البيان المعجز نوعية الماء المراد بالتصريح بدلاً من توظيف الكناية؟ لأنّ إشارته تستدعي عقلية يقظة إدراكاً، متواصلة أدباً، مراعاة كرامة المخاطبة تدوقاً، ولكون الرسول-صلى الله عليه وسلم-في حد الكفاية بقدرته على الوضع والتشقيق من الألفاظ، وانتزاع المذاهب البيانية، فيكون خلال ذلك المعنى متوفراً موجوداً ولا معدوماً لدى المخاطبة. لقد أناط الفن البياني

فدال التعبير النبوي بظلاله على السمو والتهذيب والتأديب في هذا الحديث عن مفاتن المرأة، ولم يقل "المني"، بدلاً من الماء المذكور: "إذا رأيت الماء"، ولذا تجد أنّ لفظة "الماء"، تثير معنى المنى في ذاتها على مدى سياق الكلام، وتومئ إلى مظهره بأبلغية البلاغية في توظيف أسلوب الكناية، فتتفني الإيحاء بالشهوة، فكساها الحياء الذي أفقد الأنوثة لغاية خلقية أحياناً.

وقد تَوَسَّط الرسول-صلى الله عليه وسلم- بين بلاغة التصريح وظاهرة الكناية تبياناً وتبييناً على شدة الاتصال بينهما في هذا التوجيه الوجيه، فاستعمل المعرفة "الماء"، دون النكرة "ماءاً"، لأنّ المخاطبة لن يلتبس لديها المراد بالماء في المفهوم الموافقة، حيث يصلح التشكيل للجنسية والنوعية، وأبرزها الرسول على هذا الأسلوب حتى لا يستند في نفس المخاطبة صريحاً بمعرض المبالغة في البيان والإيضاح. والكلمة واحدة، والسياق العام واحد، ولكن لكل كلمة في موقعها مقام يختلف عن الأخرى في أداء المعنى المراد. فقد أثارت بلاغة الكناية في هذا الخطاب النبوي بأروع وأبلغ التصوير، في أنصح وأرجح التوضيح. وقضايا العقول فإنّها ثابتة لا تقبل تغييراً ولا تبديلاً، لأنّها تدور في عقل الفكر ونظامه، فالكلام الذي هو أحكام ونسب، وهي أمور عقلية، يخضع لما يميله نظام العقل وقانونه، لأنّه صورة الفكر الذي هو نتاج العقل. (Hamdan, M.M;1987) وفي براعة المقطع أضاف الرسول-صلى الله عليه وسلم- في الحوار تحديراً للمخاطبة، وترويحاً للفهم في المنجز الذهني: "تربت يمينك، فبم يشبهها ولدها؟"، وهذه العبارة مجاز في الدعاء، كأنك تقول: "حبت وخسرت"، وجاء في الحديث عن أبي هريرة-رضي الله عنه-عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: "تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك" (Dihak, A.M: 2000) وثمة فرق بين (ترب) و (أترّب)، إذ يقال: "ترب الرجل إذا افتقر، كأنه لصيق بالتراب، وأترّب إذا استغنى، كأنه صار له من المال بقدر التراب". (Anees, A.I:2011) فالتركيب (تربت يداك)، وهو بمعنى افتقرت، لا يقصد به حقيقة الدعاء، ولا يراد منه الوقوع، وإنما يجيء لتلميح الكلام.

ت. ومن مواطن جواب الاستفهام بالاستفهام في البيان النبوي في الخطاب النسوي ما روي:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رأيت من النبي-صلى الله عليه وسلم- طيب النفس، قلت: "يا رسول الله أدع الله لي"، قال:

"اللهم اغفر لعائشة ما تقدّم من ذنبها وما تأخر، وما أسرّت وما أعلنت"، فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجر رسول الله-صلى الله عليه وسلم- من الضحك، فقال: "أيسرّك دعائي؟" فقالت: "وما لي لا يسرّني دعاؤك؟"، فقال: "والله إنخا لدعوتي لأمتي في كل صلاة" (Muslim, A.M:1989).

ينتج الطباق خلال دعاء الرسول-صلى الله عليه وسلم-لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قائلاً: (اللهم اغفر لعائشة ماتقدّم من ذنبها وما تأخر، وما أسرّت، وما أعلنت)... وفي هذا الحديث الجليل الطباق المتعدد بين المعاني الأربعة وضدها، جاء فعلاً مضارعاً بين: "تقدّم وتأخر"، وجاء فعلاً ماضياً بين: "أسرّت وأعلنت"، لم يأتي مجرد الزينة والزخرفة الشكلية العرضية، فقد اقتضاه المقام في هذا الحديث الشريف، ليثبت المعنى، يقرّره ويؤكدّه، وهذا شأن سائر ألوان البديع، يقتضيها المقام ويستدعيها

الحال، وينادى عليها معنى السياق، فيفيد الإحاطة والشمولة والكلية، أي: في طلب المغفرة من جميع الذنوب والخطايا مظهر منها وما بطن.

ولقد اهتدى الرسول-صلى الله عليه وسلم- برأفته ورحمته، وحسن معاملته مع عياله، واصطفى بعدم عنانيته، إذ فطن تجاه ما أعطاه الله من الفضل والفوز العظيم، بالمغفرة والرحمة والنعمة، حيث يقول رب العزة: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُؤَيِّمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا)، الفتح: 1-3. وأطيب الله لسان رسوله بنور القرآن المكين، وشرح صدره بنور الإيمان والإحسان، فتضرع إلى البر الرحيم لأم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- لنيل تلك المغفرة الشاملة برحمة الله الواسعة.

قد يتضح ياء النداء بمغزى التعظيم في براعة مطلع هذا الحديث أثناء الخطاب بين الزوجين: "يا رسول الله أدع الله لي"، وظاهرة النداء هنا من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، الشاهدة على الرسالة، المؤمنة على النبوة، مما تبرز بلاغة الطباق النبوي مستغفراً لها بقوله: "اللهم اغفر لعائشة ما قدمت وما أخرت، ما أسررت وما أعلنت"، بتقدير: اللهم اغفر لعائشة كل ذنوبها صغيرها وكبيرها، في موطن الشمول والاستيعاب، وتمتاز هذه الأدعية الرقيقة المرققة بصدورها في بيان كامل شامل، وتفصيل عالي متوازن في أسلوب سهل يسير، مزدان بنغمات المقطع. ولا يمكن استيعاب جميع الخصائص الأدبية للأدعية النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، لما فيها من البلاغة العالية العجيبة، غير أن الباحث يحاول قدره، ويبدل جهده في تناول بعض الخصائص البيانية البديعية للأدعية في العرض والتحليل. وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد الرابع الحسني وهو يتحدث عن أهمية الدعاء في الإسلام "أما الأدعية فكانت قسماً جديداً ظهر لأول مرة في الأدب العربي، امتثالاً لتعليم القرآن الكريم، واتباعاً لما قصه عن عباده الصالحين، وكانت من أقوى أصناف الأدب، وأدعيته صلى الله عليه وسلم خير نموذج وأقواه في هذا الخطاب، وأسلوبه أسلوب محكم غزير، يصور نفس الداعي وعاطفته الجياشة وضراوته، وتواضعه بين يدي ربه في بلاغة عجيبة"1. والطباق وغيره من فنون البديع، ليس لمجرد الزينة والتحسين كما يرى كثير من البلاغيين، بل لهذه الفنون فضلاً عن الزينة وتأثير الكلام، الأثر البالغ في تجلية المعاني وإبرازها حسبما يقتضيه المقام..

ث. ومن روائع جواب الاستفهام بالاستفهام في الخطاب النسوي ما جاء

في صحيحين عن عائشة رضي الله عنها: "أَنَّ يَهُودًا أَتَوْا النَّبِيَّ-صلى الله عليه وسلم-فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم ولعنكم وغضب الله عليكم، فقال الرسول-صلى الله عليه وسلم-مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش، قالت أولم تسمع ما قالوا؟ قال: أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيي". (Bukhariy, A.I:1982)

يسط هذا البيان النبوي معنى في قوة تصوير النبي الأمين المأمون الرؤوف الرحيم سحر البيان ردودًا وقبولًا، حيث سلط المقصود بما يزيد إدراك المعنى المراد، ومن خلال ذلك قالت أم المؤمنين-رضي الله عنها سائلة عن زوجها؛ الرسول المصطفى-صلى الله عليه وسلم-قائلة مستفهمة ومتعجبة: "أولم تسمع ما قالوا؟". فأجابها الرسول الكريم-عليه الصلاة والسلام-بما يقابل صورة سؤالها، وبالذي يعادل نظيرة استفهامها قائلًا: "أولم تسمعي ما قلت؟" فقد وقعت استفهاما تسلطت فيه الهزمة لأداء المعنى التقريبي على "لم" النافية تأكيدًا سماعهما. وفي التطابق الدلالي عبر الإعجاز البياني في الخطاب النبوي الموجه إلى الجنس النسوي، خاصة في زاوية هذا الحديث يدرك المتلقي المتذوق ما ينهضه أسلوب النبي الأمين-عليه الصلاة والسلام-الذي علّمه الله البيان، يختص ويمتاز بما يبرهن من إقناع وإبداع أنّ المخاطب فقد احتاج إلى أقوى البراهين فيما ساقته المتكلمة الحاذقة الذكيّة، وقد استفرد طاقاتها العقلية وقوتها ولطافتها لمعرفة السبب بلا التردد، بيد أنّه صلى الله عليه وسلم لا يزال تلاحظ في شعور أم المؤمنين أمانة الشك، فلا غرو أن يضاعف ما يوجه إليها من عرض وإبداء وتوضيح وتصريح وتفصيل وتحليل مع تعليل عبر التذليل قائلًا: "رددت عليهم فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيي"، فإنّ ما يتم به الرسول-عليه الصلاة والسلام-خطابه في براءة هذا المقطع البياني لإقناع زوجته بمغزى الخطاب، حينما تتعجب بما فعله حبيبها مقابلة سوء تصرف هؤلاء طائفة من اليهود نحوه، فذلك عندما أتوا الرسول بسوء ظنهم قائلين: "السأم عليك"، فردّ عليهم بالذي هو خير قائلًا: "السلام عليكم"، فسرعان تعجبت أم المؤمنين بما ردّ عليهم زوجها، فردّت عليهم بما تقابل ظنهم قائلًا: "عليكم ولعنكم وغضب الله عليكم"، والسرّ البياني في هذا الحديث النبوي جاء لإفادة قوة التأثير في جميع ما يؤديه النص البلاغي بلا نقص ولا تقصير في الشكل والهيكل.

وكل يعمل على شاكلته، إنّما عاملهم الرسول بما هو أهله من الرحمة والرأفة وقدوة حسنة بصدق التصرف والإنصاف. وفي هذا الرحاب يشهد فحوى الخطاب هنا أنّ توظيف أسلوب الاستفهام لجواب الاستفهام هو المناسب في هذا المجال، حسب السياق المقالي والسياق المقامي لإرهاف الذوق والملكة في ترويح العاطفة من قبل أم المؤمنين-رضي الله عنها-من خلال إثارة فكرتها وعند تحريك مشاعرها، وبمبادرة الرسول-عليه الصلاة والسلام-تحققت الغاية المقصودة، وحصلت الضالة المنشودة بمعونة السياق وقرائن الأحوال، نتيجة الاستعانة ببلاغة الاستفهام ردودًا وقبولًا، كي يظل المعنى ظاهرًا واضحًا، ويصبح المقصود بارزًا بيّنًا

2.3. تكرار ظاهرة الاستفهام في الحوار التوجيهي النبوي

أ. ومن صور تكرار أسلوب الاستفهام في الحوار النبوي مع الجنس النسوي أمرًا وهيمًا ما روي عنه: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه:

"إن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكّان غليظتان من ذهب: فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم: "أنتعطين زكاة هذا؟" قالت: لا، قال: "أيسرك أن يسورك الله بما يوم القيامة سوارين من نار؟" قال: فخلعتنهما وألقننهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وقالت: هُمّا لله عزّ وجلّ ولرسوله" (Abu Dawud, A.D:1999).

يفيد الرسول الكريم-عليه الصلاة والسلام-في خطابه النسوي بإيجاز القصر، فيحمل معنى كثير في لفظ قليل في بوتقة الاستفهام بقوله: "أنتعطين زكاة هذا؟"، والمعطيات الأسلوبية لهذا التركيب تتضمن نوعًا من التقابل أو التخالف إما في الفعل أو

الفاعل أو متعلقتهما إذا كانت الجملة فعلية، أو في المبتدأ أو الخبر إذا كانت إسمية. واستخدام تاء الخطاب يكشف عن ثنائية تنظيم الذات، وقد توصف هذه الثنائية بالبيانية حين نفهمها على أنّها وسيلة أسلوبية لتصوير خيرة المخاطبة، وقد توصف بالموضوعية حتى نفهمها. لأنّه يحمل معان كثيرة في لفظة قليلة على أسلوب يجري مجرى الكلام. وقد تتجلى بلاغة هذا الأسلوب في موكب التشويق والترغيب، فقد أشاد الرسول-عليه الصلاة والسلام- في تجميع طاقات عقلية بلاغية عند الأمر بما يناسب المواقف من شعب الاحتجاج حوارًا ونقاشًا، بقوة الحكمة والموعظة الحسنة، وروعة العرض، وجمال الأداء، وهو انطلاقة مرنة تقوي اقتضاب المعاني والأغراض على نحو ما تحكم به القرائن. وبالنظر إلى براعة مطلع هذا الحديث الشريف حيث استعمل الرسول-عليه الصلاة والسلام- أسلوب الاستفهام في مغزى التوجيه والإرشاد بقوله: "أتعطين زكاة هذا؟"، ولم يرد أن يبين هذا الأمر مجردًا أو إجبارًا، أو أن يذكره بأسلوب خبري مباشر، فسلك في بيانه مسلكًا بليغًا، يأخذ بالقلب والعقل، ومتأثر في الشعور والعاطفة، فذكر فرضية إخراج الزكاة وبيّنها بآتم الأسلوب وأبلغ البيان، وارتبط بإجاز القصر ببلاغة الاستفهام في فحوى التنبيه والإرشاد تجاه حقّ الرب من أموال العباد.

ولماذا استعمل الرسول-صلى الله عليه وسلم- هذا الأسلوب القدير المرهف الذي يحوي تلك المعاني بما لها من ظلال وارفة ورموز دقيقة؟، ذلك كي يكون الخطاب في غاية المطابقة للمعنى المطلوب، وتقديم المعنى المناسب أيضا للغرض الذي سيقت لأجله الكلام، وكذلك وصف فعلها وجعلها متكافئًا مع الأمر الذي يأمرها به أو النهي الذي يجرها عنه. ولذا اختار لبيانه حالة خاصّة من أحواله، ليربط المخاطبة كي يؤثر فيها، فلا يمنع أن يتكيّف القائل مع المستوى الفكري والعاطفي للمخاطبة. إذ يأتيه-صلى الله عليه وسلم-الكبير والصغير والمرأة والأعرابي والراضي والغاضب، فيخاطب كلّ بما يلائمه، كما أنّه في الوقت نفسه يراعي حقّ الموضوع والفكرة، وتوصيلها إلى الجميع.

ولأنّ المقام هنا مقام التوجيه والتنبيه، ومكان الوعظ والإرشاد، ولأنّ العبادة لا بالإجبار وإنما بالتسليم وطيب النفس دون التكليف، راعى الرسول مطابقة الكلا والمقام في المقال بمقتضى الحال، فاستعمل أسلوب الاستفهام على صورة رائعة تحكم بها القرينة والسياق بقوله: "أتعطين زكاة هذا؟"، ليؤتي المخاطبة فرصة الاختيار في إخراج فرضية الزكاة مما ملكت يداها، برضا وطيب نفسها. فعبر عن دقة الإعجاز البياني على أنه تصويره بأنهي تصويره، واستدعى لما تتحقق بها غايته، تقابلا اعتباريا يوحي التنبيه والتوجيه، والإثبات والنفي، والأمر والنهي دفعة واحدة، وقد صاغت بلاغة الاستفهام المطابقة للتعبير الدقيق، المناسبة للموضوع، توافي وفاءً قويًا معنى المنشود، وتوظيفًا ملائمًا للمغزى المقصود عندما كان جواب المخاطبة تجاه سؤال الرسول-عليه الصلاة والسلام-نفيًا منفيًا، على عدم إخراج حق الله مما تملكها، استخدم الرسول-عليه الصلاة والسلام-أسلوب الاستفهام نفسه بمعناه المجازي في فحوى التهديد والوعيد، مع التنذير والتحذير بالاستفهام الإنكاري التوبيخي.

لم ينهها الرسول-صلى الله عليه وسلم-بالصراحة، ولكن خاطبها بالتميح في التهديد، بأسلوب بليغ رائع، أسرع إيرادًا، وأوفر تصويرًا، بخطاب مؤثر في نفسها لفظًا، مستقر في شعورها قلبًا وروحًا، "أيسرُك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟"، تسلّطت الهمة على الخبر لإنكار الحدث بأنّه لم يكن دون أن يتعدى الفاعلية والمفعولية. وإنّ دخول النار والنجاة منها أمر

معنوي، لكنّ البيان النبوي يعرضها بشكل حسّي واضح. فيعبّر الرسول-عليه الصلاة والسلام- بالصورة المحسّنة المتخيّلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية المرهبة، وعن الحادثة المحسوسة، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. فسرعان ما سلمت المرأة نفسها بامتثال أمر ربها، وأداء فرضية زكاة مالها، فخلعتهمما وألقتهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: "هما لله عزّ وجلّ ولرسوله صلى الله عليه وسلم".

اشتملت في هذا البيان النبوي ألوان رائعة من جمالية البناء ولطائف التصوير، مما تؤكّد سموّ البلاغة النبوية المعجزة، وتوضح عنايته بالأسلوب الجميل، لتوصيل الفكرة والسعي نحو تأثير المتلقى. يا لهذا الأسلوب البليغ أقوى في التربية والتوعية، بنكتة بيانية بارزة في ترتيب الأمور أمرًا ونهيًا، ترتيبًا لائقًا، وتعقيبًا مناسبًا بالفكرة في السمع والطاعة، بصورة غيبية معجزة عبر الترغيب للامتثال بالمعروف، والترهيب في النهي عن المنكر. صرح صورة سوء الجزاء لمن لا يؤدّي زكاة المال أن يتحوّل ذلك المال يوم القيامة إلى طوق من نار يطوّق صاحبه. لا يتخيّلها تلك المخاطبة المسلمة حتى تتبعد نفسها عن أسبابها، وعلى منوال هذا الخطاب المعجز ألقّت السّوارين، فتصدّقتّ بهما بلا التمهّل ولا التأخر. لقد ضرب الإعجاز النبوي أمام تلك المرأة المثل، بأمر أعظم خطرًا، وأبعد أثرًا، فما الذي يطهر نفس المخاطبة مما يشوبها ويعكر صفاء إنسانيتها طوعًا وكرهًا؟ إنّما هي بلاغة الاستفهام التي تخاطب النشاط الابتكاري، والتيقن العقلي من الواقع المرئي، بصيغة برهانية، لتشكيل صورة غيبية معجزة، خصوصًا باستخدام "همزة الاستفهام" في الأمر مطلقًا "أتعطين زكاة هذا"، وفي النهي مطلقًا "أيسرك أن يسورك الله بهما".

فمن حيث البناء اللغوي نجد أنّ الهمزة قد سبقت فعلاً مضارعًا، "تعطين"، و "يسرك" و "يسورك"، مراعاة التجدد والاستمرار في إبراز سوء العمل الذي يعقبه سوء العذاب. استفهم الرسول-عليه الصلاة والسلام- استفهامًا مجازيًا أمرًا بقوله: "أتعطين زكاة هذا؟"، في مغزى التوجيه والإرشاد، ومن ثمّ يستفهم عليه الصلاة والسلام- ثانيًا استفهامًا مجازيًا ناهيًا في فحوى الإنكار التوبيخي تهديدًا ووعيدًا، بقوله: "أيسرك أن يسورك الله بهما سوارين من نار يوم القيامة؟"، ومعنى التهديد في ذلك الخطاب النسوي هو عدم الرضا بالمأمور بها، ويكون الوعيد للعاقبة في إبراز نوع العقاب تستحقها نتيجة اعتراضها الأمر، بينما يكون الوعيد تقرير النتيجة الوخيمة التي يترتب على عدم إعطاء حق الله مما تغتنمها. تكمن في استعمال هذا الأسلوب إثارة لتلقف التصوير الحسي، فنفهم المخاطبة جوانب المعنى فيما أمر به وما نهي عنه عن طريق غير مباشر، إذ يهيمن الرسول-صلى الله عليه وسلم على أوضاع الكلام وأقطاره، وعلى مدار الجمال وكماله.

وإنّ الحوار ضرب من البيان الرائع المثير، الذي استُخدم في كثير من المواقف التي وردت في كتاب الله- سبحانه وتعالى- وحديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأريد به التأثير والإثارة (Basha, A.L:2001). والاستفهام يتوجه للفعل لأنّ فاعلة الفعلين "تعطين" و "يسرك" واحدة، وهو ضمير مستتر تقديره أنت، كما أنّ الفعل تعطين يقابل رفضها وصلًا، ولا تعني المقابلة والتضاد، وإنّما التغاير الذي قد يكون تضادًا.

ب. ومن نماذج تكرار الاستفهام في الحديث النبوي عبر الخطاب النسوي ما روي:

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

"كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ رَمَضَانَ، فَكَانَتْ أُضْرِبُ لَهُ خِبَاءً، فَيَصَلِّي الصُّبْحَ ثُمَّ يَدْخُلُهُ، فَاسْتَأْذَنْتُ حَفْصَةَ عَائِشَةَ أَنْ تُضْرِبَ خِبَاءَ آخَرَ فَأَذْنَتْ لَهَا، فَضْرِبْتُ خِبَاءً، فَلَمَّا رَأَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ ضْرِبْتُ خِبَاءَ آخَرَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-رَأَى الْأَخْبِيَةَ، فَقَالَ: "مَا هَذَا؟ فَأَخْبِرْ، فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: آلِبِرُ تَرُونَ بِن؟ فَتَرَكَ الْعِتْكَافَ ذَلِكَ الشَّهْرِ، ثُمَّ اعْتَكَفَ عَشْرًا مِنْ شَوَالٍ".

وفي رواية أخرى أنه-صلى الله عليه وسلم-قال: "البر تردن". (Muslim, A.I:1987)

تجدر ألفاظ الأحاديث النبوية لتحقيق مقاصد الكلام بمقياس غاية المرام، من خلال التصوير الفني في موكب المحتوى الفكري والذهني. وإنَّ شاهد الاستفهام في هذا الحديث النبوي الشريف بقوله: "البر تردن بِن؟"، وفي رواية أخرى "البر تردن؟". لا تختلف هذه الرواية عن الأولى في بنائها التركيبي، من حيث التقديم والتأخير الذي تمَّ فيها، ولا في غرضها البلاغي.

ولفظة: (البر) في قوله: "البر تردن بِن" منصوبة، وهي مفعول مقدم للفعل (تردن)، وقد قُدم المفعول على فعله، وولي همزة الاستفهام، وفي تقديمه أسرار بلاغية اقتضاها المقام، دلالة على أهميتها، وتذكيراً بها، وبياناً لقدرها، وإشارة منه-عليه الصلاة والسلام-أن مدار الباقيات الصالحات في العبادات والمعاملات مبنية عليها، وبدونها لا تُقبل الأعمال، ولا يُجزى عليها، فإذا كان الأمر كذلك فما بال هؤلاء النسوة يردن شيئاً غير البرّ في ذلك الاعتكاف؟، ومن هنا جاء إنكاره-صلى الله عليه وسلم-الوجيه عليهن وعلى فعلهن، فالاستفهام في مغزى الإنكار التوبيخي، إنَّ هذا الأسلوب أشد في الإنكار وأوجع في النفس وأذع. فقد دلَّ على المعنى المهذوف الذي أكدّه أسلوب التقديم والتأخير في الجملة الاستفهامية، وتناسب بلاغة هذا الأسلوب وأثره البين في المقامات التي يتطلبها، وأثره الواضح في تحقيق المقصود وتوضيح المراد. وما كانت هذه المعاني لتكون وتتم لو حلت جملة الاستفهام من التقديم والتأخير. وقد ذكر العلماء دافع هذا الإنكار التوبيخي وسببه، أنه-صلى الله عليه وسلم-قد خشي أن يكنّ غير مخلصات في هذا العمل، وأن يكنّ الباعث لهنّ على ذلك التنافس بينهن الناتج من غيرة بعضهن على بعض، حرصاً منهن على القرب من رسول الله-عليه الصلاة والسلام-والمباهاة به، ومن ثم يخرج الاعتكاف عن موضوعه، ويفقد مقصوده والمراد منه (-al- Qostolaniy, S.A.M:1997). وهو التخلي عن الدنيا، والبُعد عن الزوجات ومتعلقات دنيوية أخرى، والانصراف إلى العبادة والاشتغال بها. وقد دلَّ على إنكاره-صلى الله عليه وسلم-على أزواجه قوله وفعله.

فأما القول فمن خلال الجملة الاستفهامية "البر تردن" بما فيها من إحكام، وبناء تركيبها، وما تمَّ فيها من تقديم وتأخير، ففي تقديم المفعول، والنظر في إيحاءات اللفظة المقدّمة ودلالاتها يتبين لنا أنّها هي المرادة من الاعتكاف، أو هو الذي ينبغي أن يكون، فلا ينبغي أبداً ولا يصح أن يكون ثمة باعث الاعتكاف غير البرّ ولا شيء غيره من حظوظ النفس، أو سواه من حطام الدنيا. فلما كان باعث الاعتكاف البرّ ولا شيء غيره بدأ به-صلى الله عليه وسلم-في منطقته وقدمه على غيره، وجعله تالياً لهمزة الاستفهام، فقد اقتضى المقام أن تكون لفظة: (البر) مقدمة على غيرها، دلالة على أهميتها، وتذكيراً بها، وبياناً لقدرها، وما دُكر أولاً هو الأولى والأقوى، وهو الذي يتناسب مع بناء جملة الاستفهام ودلالاتها. وقد ذكر العلماء أسباباً أخرى لهذا الإنكار،

ومنها: أنّ النساء حينما اعتكفن معه صار- صلى الله عليه وسلم- كأنه في منزله لوجود أزواجه حوله، فيذهب بها الغرض المقصود من الاعتكاف.

وفي هذا البيان النبوي دلالة على شؤم الغيرة ووبال عاقبتها، لكونها ناشئة عن الحسد المذموم المفضي إلى ترك الأعمال الصالحة، كما في هذا الحديث الشريف إشارة إلى جواز ترك الأفضل من الأعمال إذا ترتب على ذلك مصلحة أخرى، أو كان ذلك لدره مفسدة مترتبة على ذلك العمل (Al-Qostolaniy, H.A.Q:1977). وثمة نظائر هذا الاستفهام من القرآن الكريم في دلالاته وبنائه التركيبي قوله تعالى عزّ من قائل: *مُحِبَّةٌ أَزْوَاجٍ مِنَ الصَّانِّ أَتْنِينَ وَمِمَّنْ أَلْمَزْتَيْنِ قُلْ أَلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا* *أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامٌ الْأُنثَيَيْنِ نَبَوِي يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (الأنعام: ١٤٣)*

تتجلى بلاغة هذا الأسلوب حيث أفاد المعنى لإنكار فعلهم، ودلّ عليه بهذه الصورة وبهذا الطريق، وقد كشف عبد القاهر الجرجاني بلاغة هذا الأسلوب ودلالاته حين يقول: "...المراد إنكار التحريم من أصله، ونفي أن يكون قد حُرِّم شيء مما ذكروا أنه محرّم، وذلك أنّ الكلام وُضع على أن يجعل التحريم كأنه قد كان، ثم يقال لهم: أخبرونا عن هذا التحريم الذي زعمتم فيم هو؟ أي هذا؟ أي ذاك؟ أم الثالث؟ ليتبين بطلان قولهم، ويظهر مكان الفرية منهم على الله تعالى. (Al-Jurjaniy, (A.A:1989).

ت. ومن حقول تكرار بلاغة الاستفهام في البيان النبوي قوله- صلى الله عليه وسلم- فيما رُوي:

عن الحصين بن محسن قال: حدثني عمّتي قالت: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الحاجة، فقال لي: "أيُّ هذه؟، أذاتُ بعل؟ قالت: نعم، قال: كيف أنتِ له؟ قالت: لا ألوهُ إلا ما عجزت عنه، قال: فانظري أين أنتِ منه، فإنّه جنتك وبارك" (Ahmad, M.A:1990)

وإذا تأملنا التركيب وأمعنا النظر في متعلقات جملة نص الحديث وتراكيبها، يجد المتلقي شيئاً من التراكيب لمعطيات التعبير للتعجب والاستغراب عن الفاعلة بصورة متغيرة، واستفهامها: "أيُّ هذه؟" استعمل الرسول- عليه الصلاة والسلام لفظ غريب أي: قليل الاستعمال، بعيد عن فهم السامع، وذلك لكي يوقظ الذهن بغرابة التصرف إلى التأمل في الغرض المطلوب، وحسن تفهمه، مع إثارة الشعور والانفعال بنغمه وموسيقاه، يختلف هذا الأسلوب عن سؤاله، "أذات بعل؟"، وقوله: "كيف أنتِ منه؟" يفيد تعيين الصيغ المستفهمة بما عن فاعلة واحدة بداتها وحالها.

فإنّ المعاني المتولدة من الاستفهام تتحد في إطار تلك الأدوات الاستفهامية الثلاثة، استغراباً واستبعاداً وتعجباً، يتضمن إنكاراً من أمرها وتعييناً عن مدى سوء تصرف المخاطبة، وتعجباً مصحوباً بالإنكار التوبيخي الذي يتصل بأمر لا ينبغي أن يكون منها، وإنّ التوجيه الخطابي في هذا الرحاب يكمن إثباتاً وإرشاداً، فيتصل هذا النمط من الاستفهام بموقف قضية اجتماعية في المعاشرة الزوجية. فقد توفّي أداة الاستفهام معنى التوبيخ أنّ الحدث قد وقع وأنّ فاعلته ملومة، والمقترحة لهذه الخطيئة لا تعني بالحقوق الزوجية، ولو أتى الأسلوب بصراحة الإنكار لا يؤدّي المغزى الذي جاء به أسلوب هذا الخطاب. وأتى الإيجاز بالاختصار

لقية مسافات بعيدة يحويها الكلام، وعبر الخبر على معنى الأمر للتخيير بين دخول الجنة أو النار، وفي ذلك عبرة وذكرى لأنَّ الفعل يستوي فيه الجزاء، إما خير الثواب، أو سوء العذاب، ولكن الأخير أوثق.

وكما لا بد من ملاحظة أنَّ المقصود بمعنى الهمزة هو ما يليها، فإذا قلت "أضربت زيدًا؟" أفاد إنكار الفعل وأنه ما كان ينبغي أن يكون، وإذا قلت "أأنت ضربت زيدًا؟" كان مصب الإنكار هو الفاعل، وكأنَّك قلت أن هذا ما كان ينبغي أن يكون منك خصوصًا، ولو أن غيرك لم يكن فيه ذلك اللوم ولا ذلك التوبيخ، وتقول: "أزيدًا ضربت؟" فيكون منصب الإنكار هو المفعول خصوصًا ولو أنَّه ضرب غير زيد لما كان بهذه المثابته. (Abu Musa, M.M:2010) وإنَّ المقرر به في هذه الأساليب التي استوظفها رسول البيان والتبيين-صلى الله عليه وسلم- ثلاث مرات في صورة متنوعة بأدوات مختلفة: "أيُّ هذه؟"، و "أذاتُ بعل؟" و "كيف أنت له؟"، ليس ما يلي الهمزة وبقية الأدوات، وليس معنى الجملة وإثما شيء في نفس المخاطبة حول هذا الحكم المذكور هو اعتقادها فيه، فقد تكون الجملة مثبتة والتقرير بالنفي. وكفى بذلك زجرًا إذ سلك البيان النبوي في صياغة الإنكار والتوجيه مسلِّكًا أوكد، فسلط الهمزة على التوبيخ للإثبات، لم يقصد الرسول-عليه الصلاة والسلام- طلب ما لا يحصل له قطعًا من المخاطبة، ولكن يتعجب ويستغرب أن يأتي هذا وذاك منها، ودلالة واضحة على ما تتحكم في البيان النبوي من علوِّ العاطفة، ودرجاتها وتفاوتها.

وفي الفقرة الأخيرة ما تقوي فحوى الأساليب الاستفهامية الثلاثة، توحى بمعنى التعجب والتهويل لأمر خطير الشأن من حقِّه أن تأخذ المخاطبة منه حذرهما، ووقايتها. وفي ذلك يقول المصطفى-عليه الصلاة والسلام-توجيهًا معجزًا: "فانظري أين أنتِ منه، فإنَّه جنَّتكَ ونارك". ولولا بلاغة التراكيب بأقوى المعاني من ذلك التعظيم الذى أضاف إليه معنى التهويل، حتى يأخذ الكلام النبوي المعجز جلاله، وجماله من الروعة والقوة ما أضاف أسلوب الاستفهام مرة أخرى في ظلال بيانه: "فانظري أين أنتِ منه"، أمر إرشادي توجيهي رائع، وإشار في التعبير النبوي ليس إلا لتشديد خطورة عدم احترام المخاطبة زوجها بطريقة التركيز. ومن معاني الأحاد بصيغة التضاد تفخيم شأن الأمر في نفس المخاطبة لأن وقوعه مما لم تجربه العادة المعتادة، نلمس ذلك في النص البلاغي العظيم، والبيان البديعي الحكيم "فإنَّه جنَّتكَ ونارك"، عبارة مرعبة، تشعر بها المخاطبة قوة التهويل، وحسن التقابل مقابلته اعتبارية، حيثما تقابل الجنة والنار مقابلتنا تناقضية، ولكن دون تعارض بين سياق المقال والأسلوب، فلكل مقام مقال. إنَّ هذه العجائب في التركيب، وتلك الغرائب في الأسلوب مما يوحي إثبات الإعجاز البياني النبوي في موكب خطابه النسوي، بنكتة بيانية فائقة الرونق، وتنويع الدلالات بتصريف الكلمات، شاهد على التفوق اللغوي، والمهارة الأسلوبية في البيان النبوي الشريف.

2.4. نتائج البحث

إنَّ كل بحث من البحوث العلمية الأكاديمية، لا بد له من نتائج إما إيجابية أو سلبية، ولذا قد أسفر هذا البحث وتوصل الباحث على نتائج متعدِّدة أبرزها:

أ. سجلت هذه المقالة نصيباً مفروضاً من حقول مقابلة بلاغة الاستفهام بالاستفهام، عبر الإعجاز البياني النبوي من خلال مخاطبة تلك الجنسية النسوية، بما لها من الأثر العميق بميزات أشعت بالتأثير، الكامن في فنّه التعبيري التوجيهي تركيبياً وتصويرياً.

ب. تحقيق الدربة على الإحساس الخطابي القيم، في المحتوى الأدبي السليم، والمنجز الفكري المستقيم، في الكلام النبوي الكريم، حيث أفادت هذه المقالة العلمية بقبسات العلم والمعرفة من الرسالة المحمدية في محاور تلك الجنسية اللطيفة في زاوية الحقول البلاغية.

ت. إعداد مدى الأمثلة والشواهد النيرة في الظواهر البلاغية، ذوات الصبغة الإرشادية، في روائع الفكرة والأسلوب التي استعملها الرسول-صلى الله عليه وسلم- على ضوء النماذج المختارة نحو خطاب الجنسية الأنثوية عن أمور الدين والدنيا.

ث. تصوير الحقائق الأدبية للبيان النبوي المعجز في البنية والوظيفة، بأقوى وأروع خصائصها البالغة في الذوق والملكة، وخاصة بعض ما أبدعها في مخاطبة تلك الجنسية المتكاملة.

ج. ربط أسرار ما في البيان النبوي من جماليات الإنشاء الطلي، لتوطيد الفهم والإفهام عبر خطاب النبي-صلى الله عليه وسلم- في تعليم النساء وتوجيه عقولهن نحو الشؤون الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، بالتعبير الموحى البليغ، والتناسق الفني العجيب، والتصوير الرائع البديع.

ح. الوقوف على الخصوصية البيانية التي أوتيتها النبي-صلى الله عليه وسلم- على حد ما كان في لغته وبيانه، من الفصاحة والقوة، وما اعتكف في كلامه وخطابه من السلامة والدقة.

3. الخاتمة

يتميز فن الحديث النبوي في بنائه، بترايط جُمله وتشابك فقراته، في فنون كثيرة بغاية القوة والجمال. وكان طابع الإلقاء للبيان النبوي هو العفوية والبداهة، ليس فيه تكلف ولا تعمل، فيزيد الباحثين والدارسين العجائب والغرائب في ظاهر الاستقلال الفني بمجموع خطابه عن كلام الأدباء والفصحاء. وجدّت هذه المقالة عوامل أثرت في قوة البيان النبوي أجّلها عوامل العناية الإلهية. وعلى هذه الشاكلة أخذ الباحث عصا تسياره تجاه تحليل القدرة اللغوية والبيانية التي امتاز بها البيان النبوي بأساليب رائعة مبتكرة، وخاصة تنوع تكرار بلاغة الاستفهام سؤالاً وجواباً في مدى ألوان استعمالها على روعة تطبيقها في مخاطبة النساء، وإنّ نصوص الأحاديث النبوية جاءت بلا مرء عند أهل العلم باللغة-بأفصح الأساليب، وأجمل التراكيب حجّة وبرهاناً مالم يسبق إليها أحد، ولم يدّعها أحد بياناً وتبياناً.

وإنّ دراسة أسرار بلاغة جواب الاستفهام بالاستفهام في الصفحات السابقة تساعد على اكتشاف طرق التجديد، وإمكان تأسيس وجه جديد مفيد، ومتابعة النهوض اللغوي والبياني في لغتنا العربية وأدبنا الإسلامي من رياض النبوة الصافية. ولذا تناول الباحث مكنز الأحاديث النبوية عرضاً وتحليلاً، حيثما يوجّه الرسول-عليه الصلاة والسلام-خطابه إلى ذلك الجنس اللطيف

إرشادًا وتوجيهًا، كيف طبق أغراضها بتنوع قضاياها الموضوعية التي تؤدي وظيفتها غاية الوضوح في تغذية عقول الجنسية النسوية حجةً وبرهانًا، وتفصيل مدى مقاصدها الفكرية التي تراعي مراعاة شديدة ملائمة، وفنونها الأدبية، بمقياس الحقول البلاغية في علومها الثلاثة درسًا وتدريسًا. وإنَّ ما بذله الكاتب في هذه الدراسة يحقق أغراضًا تجعل المتلقي المتذوق يقف على أسرار البنية اللغوية في معطياتها معانيًا وأفكارًا في هذا البيان الفذِّ، لتأكيد صحة الإعجاز البياني النبوي-على صناعه أفضل الصلاة والسلام.

المراجع والمصادر

Al-Qur'an Al-Kareem

Abu Al-Hussain Muslim Bin Hajjaj Annaisaburiy (n.d), **Soheeh Muslim**, Haqqoqa Nususau: Muhammad Fuwad 'Abdul-Baqiy. Bil-Maktabah Al-Islamiyyah, Istanbul. (331)

Abu Al-'Abbas Shiabu Ad-deen, Ahmad Muhammad Al-Qastolaniy, (n.d), **Irshad Assariy Sharih Soheeh Al-Bukhariy**. Dar-Ihyai At-turath Al-'Arabiyy-Beirut Lebanon, At-tob'at Assadisat. (442)

Abu Sa'eed 'Abdul-Malik Bin Qoreeb Al-Ashma'iy (1976). **Al-Ashma'iyat**, Taqueeq Ahmad Muhammad Shakir Wa-'Abdus-Salam Haroon, Darul-Ma'arif Bi-Mashir. (102)

Abu 'Abdur-Rahman Ahmad Bin Shua'ib Bin 'Aliy An-Nasaiy (1988). **'Ishrat An-Nisai Mina Assunani Al-Kuburah**, Dar-Al-Kutub Al-'Ilmiyyat Beirut-Lebanon-At-tob'at Al-Ulah. 19-20

Abu Muhammad 'Abdul-Haqq Bin 'Atiyyat Al-Andalusiy (2017). **Al-Muharir Al-Wajeez Fitafseer Al-Kitab Al-'Azeez**. Darul-Kitab Al-'Ilmiyyat-Beirut Lebanon, At-tob'at Athaniyyat. (65)

Abu Hilal Hassan Bin 'Abdullah Al-'Asikariy (1319). **Kitab Ashina'atain**. At-Tob'at Al-Ula. Matba'at Mahmud Bika Al-Ustanat-Cairo. 62-63

Abu Musa, Muhammad Muhammad (2010), **Dilalaat Attarakeeb**, Attob'at Athaniyat Maktabat Wahbat Lin-Nashir Wat-Taouz'i 229

Abu Musa, Muhammad Muhammad (2012), **Khasois Attarakeeb**, Attob'at Athaniyat Maktabat Wahbat Lin-Nashir Wat-Taouz'i 63-64

Al-Khafajiy, Abi Muhammad 'Abdullah Bin Muhammad Bin Sa'eed Bin Sinan. (1982) **Sirul-Fashofahat**, Darul-Kitab Al-'Ilmiyyat Beirut Lebanon. At-tob'at Al-Ula. 201

'Abdul-'Aseem Al-Mut'iniy (2011). **At-Tafseer Al-Balagiy Lil-Istifham Fiy-Al-Qur'an Al-Hakeem** Maktabat Darul-Ma'arif Lin-Nashir Wat-taoz'i. 1-3

Abu Dawud Sulayman Bn Al-Ashath Bn Shadad Bn Amr, (1369AH), **Sunan Abi-Dawud**, Attob'at Al-Ulah, Matba'at As-Sahadah Egypt Cairo. 203-204

- Al-Basha, 'Abdur-rahman Liafin Basha, (2001) **Nahwa Madhab Islamiy Fil-adab Wan-Naqid**, Matba'at Darul-Ma'arif Carah. 223
- Al-Jurjaniy, Abubakar Abdul-Qohir Ibn Abdur-Rahman Al-Jurjaniy, (1439H), **Dalail Al-'ijaz**, Al-Matba'at Assalafiyat, Watob'at Maktabat Al-KHanijiy Bil-Qohirat, Tahqeeq Mahmud Muhammad Shakir. 56-57
- Al-Jurjaniy, Abubakar Abdul-Qohir Ibn Abdur-Rahman Al-Jurjaniy, (1397H), **Kitab Asraru Al-Balagat**, Thqeeq Muhammad Abdul-'Azeez An-Najar, Tob'at Shobeeh. 77-78
- Attirmidhiy, Abu 'Isa Muhammad Bn 'Isa Addihak Attirmidhy, (Bidun-Tarih) **Sunan Attirmidhy**, T'aleeq: 'Izt 'Ubayd Addu'as, Matobi'I Al-Fajr Al-Hadeethat, Hamdh-Syria. 102
- Al-Faishol Ahmad,(2017). **Al-Khitob Annasawiy Al-'Arabiy Mustolah Multabis Li-istihqoqat 'Adilat (n.d) 11**
- Al-Hafis Ahmad Bun 'Aliy Bun Hajar Al-Qostolaniy (1987) **Fathu Al-Bariy Sharhu Soheeh Al-Bukhariy**. Maktabat Al-'Ilimiyyat Lin-Nashir Wat-Taozi'I Cairo 349-350
- Ahmad Bun Faris As-sohibiy (1998) **As-sohibiy Fiy Fiqhi Luggah**. 157-158
- Al-jamiy, Nuruddeen, (1990) **Al-fawa'id Addoyaiyyat Shar'u Kafiyat Bun Al-Hajib**, Juz'u thaniy Matba'at Al-Fajir Lin-Nashir Wat-Taozi'. 368
- Anees Washurakauhu, (2000) **Al-Mu'jam Al-Waseet**, Darul-Kutub Al-'Ilimiyyat Cairah 1031
- Assubai'y, Mustopha (2010) **Al-Mar'at Baina Al-Fiqih Wal-Qonoon**. Darus-Salam Lit-Tiba'at wan-Nashir Wat-Taozi'I wat-Tarjamat. 110
- Attabureeziy, Abdullah (2000) **Deewan Al-Khamasat**, Matba'at as-Sahadah cairo. 669
- Husnaiy 'Abdul-Jaleel yusuf, (2014), **Asaleebu Al-Istifham Fiy Shi'r Al-Jailiy**. 77
- Jais, Abu 'Uthman 'Amr Bin Bahr (2010). **Al-Bayan Wat-Tabyeen**, Tahqeeq Washarih; Abdus-Salam Haroon, Maktabat Bin Sinah Lin-Nashir Wataozee'I 110
- Mahmud Musa Hamdaan, (2016) **Al-'Alaqot Wal-Qorain Fiy Ta'beer Al-Bayaniy**, Darul-Kutub Al-'Ilimiyyat Bairut. 20-21
- Muhammad Bn Ismail Al-Bukhariy, **Soheeh Al-Bukhariy**, (1419AH), Taotheeq Wa-Ddobt; Addoktur Toha 'Abdur-Ra'uf Sa'd, Dar Al-Harom Lit-turoth, Al-Qohiroh, Attob'at Al-Ulah. 1012